

## المشكلة الفعلية في العلاقة ليست قانونية بل سياسية حرب أوكراينية "دهورت" العلاقات الروسية . الإسرائيلية

وصلت العلاقات الروسية - الاسرائيلية الى ذروتها ايام بنيامين نتيناهو عندما كان رئيسا للحكومة ونجح في اقامة علاقة وطيدة مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وترجمت هذه العلاقة تنسيقا بين الطرفين في الاجواء السورية التي فتحت امام الطائرات الاسرائيلية لشن ضربات وهجمات ضد اهداف إيرانية



دانت اسرائيل غزو روسيا لجارتها، فتدهورت العلاقات القوية.

لكن هذه العلاقات بدأت تتصدع منذ اليوم الاول للحرب الروسية على اوكرانيا، وبدأت المخاوف الاسرائيلية تكبر من ان يؤدي ذلك الى الحد من حرية الحركة في سوريا والهامش المعطى من روسيا الى اسرائيل.

اوضحت المؤشرات انتكاس العلاقات بين اسرائيل وروسيا، وظهور علامات المرض والوهن واعراضهما كان في طلب وزارة العدل الروسية تصفية الفرع الروسي من الوكالة اليهودية، وهي منظمة غير ربحية تساعد على الهجرة الى اسرائيل. تأتي هذه الخطوة ضد الوكالة اليهودية، التي تتخذ من القدس مقرا لها، عقب انتقاد اسرائيل لحرب روسيا في اوكرانيا. السلطات الروسية لديها شبهات بأن الوكالة اليهودية تجمع معلومات بطريقة غير قانونية عن المواطنين الروس.

لكن المشكلة الفعلية في تدهور العلاقة ليست قانونية بل سياسية، وعلى خلفية التوتر بين اسرائيل وروسيا بسبب اوكرانيا وسوريا. على الرغم

من ان اسرائيل لم ترسل مساعدات عسكرية الى اوكرانيا، فقد دانت غزو روسيا لجارتها. في ايار الفائت، تدهورت العلاقات القوية تقليديا مع موسكو بعد ان قال وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف ان هتلر له اصول يهودية، وهو ما اثار غضب اسرائيل. كشف السفير الروسي في تل ابيب اناتولي فكتوروف، ان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين غير راض عن تولي ياتير لبيد رئاسة الحكومة الاسرائيلية، ويعتبر ان هذا الامر قد يضر بالعلاقات الثنائية بين تل ابيب وموسكو، وذلك بسبب التصريحات التي صدرت عنه في شأن العملية العسكرية الروسية في اوكرانيا، في اذار الماضي، عندما كان وزيرا للخارجية ووصف الحرب في اوكرانيا بأنها جريمة حرب روسية.

وبدا موقف لبيد مختلفا حتى عن موقف رئيس حكومته انداك بنيت، الذي اتخذ نهجا حذرا وسعى الى التوسط بين كييف وموسكو ليجنب اسرائيل ثمن ادانة روسيا. وسعت اسرائيل للحفاظ

على توازن دقيق في الازمة الاوكرانية بين حليفها التاريخية (الولايات المتحدة) وبين القوات الروسية المتمركزة في سوريا المجاورة، ومواقف نحو مليون من مواطنيها المتحدرين من اصول تعود الى بلدان الاتحاد السوفياتي السابق، الذين تربطهم علاقات بروسيا واوكرانيا على السواء. لكن غالبيتهم يميلون الى الموقف الروسي.

اما المؤسسة الامنية الاسرائيلية، فكانت الجهة الاكثر حرصا على عدم اغضاب بوتين، وذلك بسبب آلية التنسيق العسكري مع روسيا في سوريا، وخدمة هذه الالية للمصالح والامن الاسرائيلي ومنع الاحتكاك بين القوات الاسرائيلية والروسية في سوريا.

بعثت خلالها موسكو رسائل مطمئنة الى تل ابيب، مفادها انه "لا يوجد تدهور في العلاقات السياسية بين الدولتين وانه لا ينبغي النظر الى قضية الوكالة اكثر من انها قضية قانونية". ووجهت اسرائيل من جانبها رسائل طمأنة الى روسيا، تقول فيها انها "تتطلع الى تسوية الازمة وتهدة التوترات". في خلفية ذلك، يظهر ان لدى اسرائيل، بالفعل، الكثير مما ستخسر في حال تفاقمت الازمة مع روسيا، وتحديدا في اتجاهين اثنين:

الاول مرتبط بالحرب الدفاعية - الهجومية التي تخوضها تل ابيب في مواجهة طهران وحلفائها في المنطقة، خاصة في الساحة السورية، حيث من شأن كف يدها ان يفاقم التهديد الى ما لا يقاس بما هو عليه الان، علما ان للجانب الروسي القدرة على منع حرية العمل الاسرائيلية في الاجواء السورية. اما الاتجاه الثاني، فهو العلاقة الخاصة التي تربط اسرائيل بيهود روسيا، والذين يحق لهم وفقا لقانون العودة الاسرائيلي، الهجرة الى اسرائيل (يبلغ تعداد هؤلاء 600 الف روسي ممن لديهم اب او ام او جد او جدة من اليهود). في المقابل، تجني موسكو فوائد من العلاقة مع تل ابيب، على رأسها استثمار الاعتداءات الاسرائيلية على سوريا في منع ايران وحلفائها من تثبيت نفوذهم في هذا البلد، على حساب نفوذها هي، الامر الذي

يولد تقاطع مصالح، يمكن ان يستحيل تعارضا في حال زادت تل ابيب جرعة اعتداءاتها. يضاف الى ما تقدم، امكان تحييد اسرائيل - وان نسبيا - في الصراع المحتدم بين روسيا والغرب على خلفية الحرب الاوكرانية، وكذلك الاستفادة من وجود الجالية الروسية الكبيرة في اسرائيل في اكثر من اتجاه، اضافة الى الفائدة التقنية والاقتصادية بوصف اسرائيل محطة جالبة للتقنيات الغربية الى روسيا.

بناء على ما تقدم، تفهم حاجة الطرفين الى استرضاء احدهما الاخر، والذي ظل ساريا الى حين اندلاع الحرب الروسية على اوكرانيا، حيث بدأت الخلافات تطفو على السطح، وكان على اسرائيل ان تثبت تموضعها الى جانب اميركا، وان لا تغضب روسيا في الوقت نفسه، وهو ما دفعها الى ابتداء نظرية الحياد وتقسيم الادوار.

اضافة الى البعد الامني والعسكري، فان هناك عوامل كثيرة تفسر المسامرة الاسرائيلية لموسكو، بينها الصلات الوطيدة التي تجمع بين النخب السياسية والاقتصادية الاسرائيلية وقطاع وازن من الاولغارشية الروسية، التي تضم عناصر مقربة من دوائر صنع القرار في موسكو. لا شك في ان وجود ما يقارب الـ1.5 مليون ممن يسمون الروس في اسرائيل، وبينهم في الحقيقة روس واوكرانيون، اي



تخوض تل ابيب مواجهة طهران وحلفائها في المنطقة خاصة في الساحة السورية.

حوالي 20 في المئة من السكان، وكذلك العلاقات الاقتصادية والتجارية المتنامية بين الطرفين (3 مليارات دولار خلال السنة الماضية)، والرهان على قيام اسرائيل بدور الوسيط بين روسيا والغرب، وتوظيف "لوبياتها" النافذة في بلدانه لهذه الغاية، هي جميعها اعتبارات شجعت موسكو على السعي الى نوع من الشراكة معها.

كل ذلك، وغيره، كان ممكنا في زمن ما قبل الحرب الاوكرانية، ليس بين روسيا واسرائيل فقط، بل بين الدول الاوروبية وروسيا، وحتى بين الولايات المتحدة وروسيا، التي ارتفعت فيها اصوات وازنة تطالب بتقديم عروض سخية لها لاجتذابها بعيدا من الصين. اما اليوم، وفي ظل المواجهة الاستراتيجية المصرية، وغير المحسومة المآلات، بينها وبين الناتو، فان اسرائيل لا تملك سوى ان تكون في صف من التزم ضمان تفوقها الاستراتيجي، كما تعهد جميع الرؤساء الاميركيين واداراتهم، منذ خمسة عقود على الاقل، القيام بالدور الذي تكلف به. في المقابل، فان روسيا ستصرف وفق ما تمليه عليها مصالحها واولوياتها الاستراتيجية الامنية التي تفرض الانتقال الى مستوى اعلى من الشراكة مع ايران، وكان مجيء بوتين الى طهران بعد قليل على قدم بايدن الى المنطقة، امرا بالغ الدلالة على المستويين الرمزي والاستراتيجي.

الازمة الدبلوماسية المرشحة للتفاقم بين روسيا واسرائيل، هي من بين المفاعيل المباشرة للحرب الاطلسية - الروسية الدائرة في اوكرانيا. تمثل هذه الاخيرة منعطف حاسما في مسار العلاقات الدولية الذي ساد في مرحلة ما بعد الثنائية القطبية على المستويات السياسية والاستراتيجية والاقتصادية، يدفع معظم اللاعبين للشروع في عمليات اعادة تموضع على مسرح عالمي عاد رقعة شطرنج، لكن مع عدد كبير من الفاعلين هذه المرة.

التراجع الطارئ في العلاقات الروسية - الاسرائيلية مثال جديد على طغيان الحسابات الاستراتيجية لدى الدول على غيرها من حسابات سياسية و/ او اقتصادية خلال استعارة الازمات الدولية. حرص الطرفان، الروسي والاسرائيلي، على تنمية وتطوير التعاون بينهما في شتى المجالات، وتطلعا الى مزيد منه قبل الحرب الاوكرانية، لكن الحرب دفعت صنع القرار لديهما الى تغيير السياسات والتوجهات.